مقدمة
في ثقافة الحوار الوطني والإقليمي*

إعداد

أ.د/ حسين الماحي

وكيل كلية الحقوق لشئون التعليم والطلاب

مقدمة :ـ

مما لا شك فيه إننا نعيش عملية تحول على المستويين الوطني والإقليمي ، وهناك تداخل بين مكونات عملية التحول هذه بشكل يجعل منها عملية صعبة ومعقدة، وأن طرق الوصول إلي ملامحها النهائية تثير من الجدل والاختلاف بأكثر مما تفترضه من اتفاق أو إجماع ، ولا بد من الاعتراف أيضا بأن عملية التحول هذه عادة لا تسير في اتجاه واحد إلي الأمام بل إنها في مراحلها التكوينية تتعرض للعثرات بل والانتكاسات، فتمضي خطوة للأمام حينا وخطوة أخري إلي الخلف حينا آخر ، ثم تتكرر تلك الدورة حتي تستقر في النهاية علي قواعد ترتضيها غالبية الأطراف.

وإذا كانت القضايا الكلية المتعلقة بعملية التحول هذه قد استحوذت ومازالت على مساحة لا بأس بها من الطرح والاهتمام ـ ومع التقدير التام لكل هذا ـ إلا أننا قد نغفل المستويات التحتية الأكثر تأثيرا في عملية التغيير والتحول التي تمتليء بالجزئيات والتفاصيل المهمة ، وهي تعد بحق البنية البشرية التحتية ، والتي علي الرغم من أهميتها ومحوريتها مازالت لا تحتل المكانة التي تستحقها في النقاش العام مقارنة بالعناوين' البراقة' للقضايا الكلية .

وقد جاءت ندوة اليوم مساهمة في بناء جسور الحوار بين الأفراد والجماعات والشعوب ، وذلك تحت عنوان ثقافة الحوار الوطني والإقليمي.

والمقصود هنا هو ثقافة الحوار التي يتمتع بها أي مجتمع ، والتي تعد هي البيئة الأشمل التي تحتوي بداخلها جميع القضايا الكبري المتعلقة بعمليات التحول ؛ إذ إن هذه البيئة إما أن تكون بيئة حاضنة لقيم الحرية والتعددية والإصلاح والتغيير التي تستوجبها تلك العملية ، وإما علي العكس تكون طاردة أو نافرة من تلك القيم.

---

* جزء من ندوة ألقيت في أسبوع شباب الجامعات التاسع بجامعة المنصورة عام ٢٠٠٩م، وحاضر فيها كل من :ـ
أ.د/ محمد عبد اللاه ـ رئيس جامعة الإسكندرية الأسبق
أ.د/ حسين الماحي- وكيل كلية الحقوق
أ/ محمود أباظة ـ رئيس حزب الوفد

وإشكالية ثقافة الحوار بين الأفراد مبعثها سعي الأفراد لتأكيد ذواتهم ؛ فتأكيد الذات قوة من القوي الدافعة للإنسان في حياته، عن طريقها يسعي إلي أن يحقق ما لديه من فاعليات وهبها الله له ٠ لكنه في سعيه هذا لا يتحرك وحيدا، إذ يحيط بكل منا ملايين من البشر كل منهم يتحرك بالدافعية نفسها علي الطريق نفسه ٠

وإشكالية الحوار بين الجماعات والشعوب مبعثها هو الاستعداد الطبيعي للجماعات والشعوب للاعتقاد بتميزها عن غيرها٠ فقد عرفت كل شعوب العالم ـ بلا استثناء ـ الشعور بالتميز عن الآخرين، فكل شعب يعتقد أنه أفضل الشعوب، وغالبا ما نظر إلي الغرباء من الشعوب الأخري نظرة دونية ، هذا إن لم تخرجهم أصلا من الجماعة البشرية ، فالرومان مثلا كانوا ينظرون إلي الأجنبي باعتباره شيئا من الأشياء يجوز تملكه، فهو لا يتمتع بالآدمية ويكاد لا يختلف عن الحيوانات. وظهرت كلمة برابرة في اللغة اللاتينية للإشارة إلي الأغراب غير الخاضعين للقانون الروماني، فهؤلاء الأجانب هم أقرب إلي الوحوش الذين لم تهذبهم القوانين المدنية الرومانية ، وكانت العرب تنظر إلى أن من لا يتحدث العربية على أن بلسانه عجمة وهو بالتالي أعجمي مثل البهيمة ٠

وهذا ليس بغريب ، فالإنسان دائما عدو ما يجهله، وما دامت الجماعات تعيش في عزلة بعضها عن البعض الآخر، فلا عجب أن كلا منها ينظر إلي الآخر نظرة الريبة والشك ليس فقط في أهدافه وأغراضه وإنما حتي في إنسانيته.
وإذا كان هذا الاستعداد الطبيعي للشعوب والجماعات في الاعتقاد بتميزها عن الغير إنما هو نتيجة لعزلتها وجهلها بالآخرين، فقد استغل هذا الشعور وساعد علي نموه زعماء هذه الجماعات تأكيدا لنفوذهم ورغبة منهم في التوسع علي حساب الآخرين، باعتبارهم أقل إنسانية وبالتالي فلا بأس من الاعتداء عليهم والاستيلاء علي أموالهم ومواردهم، والنتيجة هي الحروب والنزاعات إرضاءً لهذه النعرات الاستعلائية لكل شعب من الشعوب.

ومن هنا يمثل منهج الحوار، ضرورة إنسانية وحضارية ودينية في عالم أسقِطت فيه الحواجز وتشابكت فيه المصالح وتزايدت احتياجات البشر بعضهم لبعض، بحيث أصبح الشأن الداخلي شأناً خارجياً ـ أيضاً ـ يتأثر بالعامل الخارجي ويؤثر فيه، وصار العالم معنياً بعضه ببعض بشكل أقوى وأعمق مما قبل.

ثقافة الحوار" تعني ما هو أعمق من مجرد الاستماع إلى وجهات النظر والسماح بالتعبير، إنها تتطلب الاعتراف بـ"شرعية الآخر" والاعتراف بحقه في الرأي والتعبير والمشاركة في القرار لا مِنّة ولا إحساناً أو تنازلاً ، وإنما حقاً أصيلاً وطبيعياً وشرعياً لا يحق لأحد مصادرته أو تهميشه أو تخوينه أو تكفيره ٠ ثقافة الحوار" لا يمكن ترسيخها في الأرض العربية ما لم نؤمن بها كقناعة مجتمعية عامة مثل قناعاتنا بالأمور البديهية.

هذه الندوة هدفها مواجهة تحديات الانغلاق والجهل وضيق الأفق ولنقول للعالم من حولنا ـوباعتزاز أكرمنا الله بهـ إننا صوت عدل وقيم إنسانية أخلاقية، وإننا صوت تعايش وحوار عاقل وعادل، صوت حكمة وموعظة وجدال بالتي هي أحسن ٠